الفصل الثانى

الإنسان والخلافة

مما سبق يتضح أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض ، وأنها خصوصية له لم تكن لغيره من المخلوقات .

ولا شك أن لهذه الخلافة مقوِّماتها التى تتعلق بالخليفة ذاته ، وبما استُخْلِفَ فيه ، ولكل مقوِّم دور بارز فى تحقيقها ، وفيما يلى تفصيل ذلك :

١- الإنسان :

لقد سبق الحديث عن عناصر التكوين للإنسان ، وخصائصه التى يتمتع بها ، مما يفرض علىّ أن أتجنب التكرار ، وأن أُوجز فيما أضطر إلى إعادته .

إن الإنسان يتكوَّن من عنصرين :

(أ) الجانب المادى :

وهو الجسد الذى يتكوَّن من عناصر الطين (الماء + التراب) ، وإن هذا الجانب له حاجاته التى تتعلق بالدوافع الفطرية العضوية كالجوع ، والعطش ، والتنفس للهواء الطَلق...

وإن مقادير هذه العناصر تختلف حسب أهمية كل عنصر ، وإن نقص أى عنصر منها يُعتبر حالة مرضية ، وقد يصل بالإنسان إلى الموت كما سبق [١] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [٢] .

---

(١) د . خالص الجلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢ ، ٤٧
البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص . ٢

(٢) المؤمنون : ١٢

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً ، وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٢) .

(ب) الجانب الروحى :

وهو ما منحه الله تعالى للإنسان ، فاتصف بقبس من صفاته سبحانه ، كالعلم ، والحرية ، والإرادة ... (٣) .

كما منحه دوافع نفسية واعية كحب التدين ، وحب التملك ، وحب الخلود ... (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٦) .

وإن هناك علاقة وثيقة بين عنصرى التكوين ، وتأثيراً متبادلاً بينهما لا يمكن معها فصل أحدهما عن الآخر ، فهما يشكلان وحدة ممتزجة ، وإن الإفراط أو التفريط فى أحدهما على حساب الآخر لا يتفق مع طبيعة الإنسان ، فالازدواجية

---

(١) الأنعام : ٢ (٢) طه : ٥٥

(٣) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣ ، ٤٩ - ٥٠
أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٣

(٤) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤
د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤
فيشته : غاية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥

(٥) سورة ص ٧١ - ٧٢ (٦) الحجر : ٢٨ - ٣٠

ليست أمراً طارئاً عليه ، وإنما هى طبيعته التى خُلِقَ عليها ، واستحق بها الخلافة لتحقيق التعادلية والاتزان بينهما [1] .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِى آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [5] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تَقَالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإنى أُصلِّى اللَّيل أبداً ، قال آخر : أنا أصوم الدهر ، ولا أُفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين

---

(١) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

(٢) سورة ص ٧١ - ٧٢ (٣) النساء : ٢٨

(٤) المائدة : ٨٧ - ٨٨ (٥) الأعراف : ٣١ - ٣٣

قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلّى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » [١] .

وإن التقسيم للدوافع إلى دوافع فطرية نفسية ، ودوافع فطرية عضوية ، ودوافع نفسية مكتسبة ، إنما هو تقسيم يقتضيه المنهج العلمى فى دراستها وإلا فإنها تمتزج فى كيان واحد فى السلوك العملى للإنسان .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [٢] .

وحيث إن من عناصر التكوين للإنسان عناصر الأرض ، فإنه الأجدر والأقدر على التعامل معها ، لأنه مخلوق منها .

وإن حاجاته العضوية ترتبط بها ارتباطاً قوياً فلا يستطيع الفكاك منها ، لأنه دونها يفقد حياته .

كما أن المخلوقات الأرضية المرئية كالحيوانات ، والطيور ، والأسماك ، والنباتات ... تتكوّن عناصرها من عناصر الأرض ، وهى مما سُخِّر للإنسان للاستفادة منها ، وهو القادر على التعامل معها جميعاً ، لتفوقه عليها ، بما منحه الله من قُدرات عقلية ونفسيه ، لم تكن لغيره من المخلوقات [٣] .

قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح ، جـ ٦ ص ١١٦

(٢) الشمس : ٧ - ١٠

(٣) الراغب الأصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، دار مكتبة الحياة ببيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٦٢ - ٦٣

(٤) الجاثية : ١٣

وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ ، وَالنُّجومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وأما الملائكة فإنهم خُلقوا من عنصر آخر غير أرضى ، وهو النور .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلقَت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجان من مارج من نار ، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم » (٤) .

وليس للملائكة خصائص التكوين للإنسان ، كالحرية والإرادة والتعلم ...

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ﴾ (٦) .

---

(١) الزخرف : ١٢ - ١٣ (٢) النحل : ١٢ - ١٤ (٣) الإسراء : ٧٠

(٤) رواه مسلم فى كتاب الزهد ، حديث ٦٠ ، جـ ٤ ص ٢٢٩٤

(٥) التحريم : ٦ (٦) البقرة : ٣١ - ٣٢

وأما الجن فإنهم لم يُخلقوا من عناصر الأرض كلها ، وإنما خُلقوا من بعض عناصرها غير المرئية عن طريق التحول ، فهم إنما خُلقُوا من مارج من نار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ (١) .

ولقد ورد فى السُنَّة النبوية أن غذاءهم من العظم والرَوث مما يُشير إلى أنه من عناصرهما غير المرئية ، حيث إن كلاً منهما لا يفنى عن إدراكنا إلا بعضُ عناصرهما غير المرئية ، لأن المواد الجيرية والفسفورية لها خواص نارية ، ولو كان غذاؤهم فى عناصرهما المرئية لتم رؤيتهم (٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه « أنه كان يحمل مع النبى ﷺ أداوة لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها فقال : مَن هذا ؟ ، فقال : أنا أبو هريرة . فقال : أبغنى أحجاراً أستنفض بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة . فأتيته بأحجار أحملها بطرف ثوبى حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت : ما بال العظم والروثة ؟ قال : هما من طعام الجن » (٣) .

وكذلك فإن استغناء الجن عن الأوكچسين فى الغلاف الجوى ، يدل على أنه ليس من عناصر تكوينهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٤) .

وأما الإنسان فإنه بحاجة عضوية لعناصر الأرض جميعها بما فيها الأوكچسين بنسبته الموجودة فى الغلاف الجوى للكُرة الأرضية كما سبق .

كما أن من عناصر التكوين للإنسان الروح ، الذى منحه قبس من صفاته تعالى ، والتى تزدهر بها حياته الباطنية والعقلية ، والتى كان له على أساسها دوافعه الفطرية النفسية ، والنفسية المكتسبة ، والتى تتصف جميعاً بأنها واعية ، بعكس الدوافع عند الحيوانات والنباتات ... التى تُعتبر عمياء كما سبق .

---

(١) الحجر : ٢٦ - ٢٧ (٢) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص . ٧

(٣) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب : ذكر الجن ، جـ ٤ ص . ٢٤ - ٢٤١

(٤) الحجر : ١٦ - ١٨

ولقد أكرم الله تعالى الإنسان بحسن الخَلْق والخُلُق ، مما جعله فى قمة المخلوقات ، وجعل الله تعالى له المشاركة فى عمارة الأرض .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وإن الإنسان إذا اتصف بصفات عالية ، فهى صفات له كإنسان ولعل أهمها:

(أ) التعلم :

إن الإنسان له قدراته وإمكانياته العقلية ، التى يستطيع بها أن يدرك ما تقع عليه حواسه ، والتى تُغذى حياته الباطنية بالمعانى المجردة التى تُوحى بها .

كما أن الإنسان يتمتع بالقدرة على إعطاء هذه المدَركات وما تُوحى به المصطلحات اللُغوية ، التى يستطيع بها أن يُعبِّر عنها ، بالبيان ، والقراءة ، والكتابة ، فيستطيع أن يُدوِّن معلوماته وخبراته له وللآخرين ، وأن تبادل هذه المعلومات والخبرات يُثرى الحياة فى مسيرتها العلمية والعملية ، فيصل الإنسان بها إلى مزيد من الرُقِّى (٤) .

وأن للإنسان دافع حب الاستطلاع ، الذى يدفعه إلى تحصيل المعارف ، وكأنها هدفه ، فتزدهر حياته الباطنية والعملية ، فتزدهر الحياة فى تحقيق

---

(١) التين : ٤ (٢) الصافات : ١٢٣ - ١٢٥ (٣) الإسراء : ٧٠

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٧

محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٠٩ - ٤١٠

عبد الكريم الخطيب : الإنسان (مرجع سابق) ص ٢٥ - ٢٦

الأهداف الإنسانية ، عن طريق دوافع ذاتية للأفراد ، فالتقدم العلمى هدف أصيل فى الحياة [١] .

وإن التعلم هو موضوع الامتحان بين آدم عليه السلام والملائكة فى الملإ الأعلى .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [٢] .

وإن الفوز فى هذا الامتحان من قِبَلِ آدم عليه السلام يعنى أن دائرة التعلم – القدرات العقلية – عند الإنسان أوسع من دائرته عند غيره من المخلوقات ، وإن الإشارة إلى العلم فى هذا المقام تدل على أنه قمة مقوِّمات الإنسان للخلافة فى الأرض .

وإذا كانت دائرة القدرات العقلية عند الإنسان أوسع من بقية المخلوقات فإن دائرة الاستثمار لها أوسع .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٤] .

وإن هناك عوامل كثيرة تُؤثر على العمليات العقلية فى صحة أحكامها ، فمنها ما يتعلق بعوامل كامنة فى الذات كقوة الذكاء وضعفه ، ودقة الحواس

---

(١) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ٨٣

(٢) البقرة : ٣١ – ٣٣ (٣) هود : ٦١ (٤) الحديد : ٢٥

وضعفها ، ومنها ما يتعلق بعوامل خارجية تُؤثّر عليها كالخبرات الانفعالية ، التى لها أثر كبير فى تسهيل أو عرقله الإدراك كالحب والكُره ... [١]

عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدىً وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِى آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [٤] .

كما أن الحواس تقع فى أخطاء فى عملية الإدراك والذى يؤدى إلى أخطاء فى الحكم على المدَركات كخداع البصر [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [٦] .

وإن القدرات العقلية تحكم - أحياناً - على الإدراكات الحسية فى صحتها وخطئها عن طريق التجارب والخبرات السابقة ، لما للمحسوسات من اتفاقات واختلافات تُوحى بمعقولاتها التى تحكم بها على الحواس .

---

(١) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص . ٤٥ - ٤٥١
أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٦ - ٣٠
سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص . ١٥

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفِع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١

(٣) فصلت : ٤٤ (٤) البقرة : ١٧٠

(٥) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، دار الحياة ببيروت ، ط٢ ص٣٢

(٦) النور : ٣٩

ولذلك فإن القدرات العقلية تعلو على الحواس ، وتحكم عليها ، فهى أعلى مرتبة منها [١] .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ﴾ [٢] .

وإذا كانت العمليات العقلية تعلو على الحواس فإن الإنسان يعلو بها فى عملية إشباعها ، فالمعلومات والخبرات السابقة لديه ودرجة تُشَرُّبه بها تُوحى إليه بجوانب الخير ، وجوانب الشر ، وعن طريق الدوافع النفسية يلزم الطيبات ، وينبذ الرذائل .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [٣] .

وعن وابصة بن معبد الأسدى أن رسول الله ﷺ قال لوابصة : « جئتَ تسأل عن البر والإثم ؟ قال : نعم . قال : فجمع أصابعه فضرب بها صدره ، وقال : « استفتِ نفسك ، استفتِ قلبك يا وابصة - ثلاثاً - البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » [٤] .

وإن القرآن الكريم قد وضع الكون كله مكان تأمل وتفكير للإنسان ليخرج بإدراكاته العلمية للطبيعة ، وسُنَنها وقوانينها ، وخصائصها ، بدوافع ذاتية .

وإن القيمة الحقيقية لتلك الإدراكات الإنسانية تكمن فى عملية الاستثمار لها ، وتوجيهها بما تُوحى إليه من معانى باطنية ، والتى ستصل به إلى مسائل

---

(١) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٢

(٢) الحج : ٤٦ (٣) الحجرات : ٧

(٤) رواه الدارمى فى كتاب البيوع ، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، جـ ٢ ص ٢٤٥ -٢٤٦

اجتماعية واقتصادية ... فيجب أن لا يأخذ منها إدراكاته الحسية فقط ، ولكن يجب أن يأخذ منها إدراكاته المعنوية ، التى هى قيمة الإنسان ، والتى تُحتّم عليه أن يكون استثمارها ، وتوجيهها نحو العمل الصالح ، فليست قيمة العلم فى اكتشاف الجديد بقدر قيمته فى توجيه الاستثمار .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ ، وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وبذلك ندرك مدى ضعف الإنسان أمام حجم المسائل التى تُحيط به ، وأن علمه يمكن أن تُحيط به الكثير من العقبات ، التى تجعله يخرج من كل علم بمسائل تُحيط به من آثارها ، ولا يمكن أن تكتمل أسلوب التوجيه والاستثمار لها إلا وفق أُصول وقواعد ثابتة ، تتفق مع خصائص التكوين للإنسان ، لأنه يعيش فى مسائله بين العلم والجهل وما بينهما .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) النحل : ١٠ - ١٤ (٢) الأحزاب : ٧٢ (٣) الروم : ٣٠

(ب) الإرادة :

لقد سبق الحديث عن الدوافع الإنسانية ، وأن له دوافعه الروحية التى هى قبس من صفاته تعالى ، وأن له دوافعه الفطرية العضوية التى تعتبر دوافع إلزامية فى عملية إشباعها ، وأن له دوافعه الفطرية النفسية التى ترتبط بالدوافع العضوية كحب التملك وحب الخلود ... وأنها أقرب للإلزام منه للاختيار .

وأن للإنسان خبراته الانفعالية ، التى تُعتبر دوافع مكتسبة نفسيه ، تُسَهِّل أو تُعَرِّقل سلوكه ، والتى يكتسبها فى حياته العملية من البيئة الخارجية ، وتعامله معها ، والتى تُوحى إليه بصفات إيجابية أو سلبية ليس له فيها اختيار ذاتى ، أو تُقلِّل نسبة الاختيار .

ولذلك فإن سلوك الإنسان الذى تدفعه إليه خبرات انفعالية فقط كالحب والكُره .. والتى يَتَّصف بها من تعامله مع البيئة لا يستحق عليها ثواباً ، وإن كانت صالحة ، لأنها إرادة عن نزوات ورغائب ذاتية أو اجتماعية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا افقهوا ، وتجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين : جـ ٢ ص ١٠٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣) جـ ٤ ص ١٥٤

(٣) المائدة : ٥

وحيث إن الإنسان إنما خُلِقَ لغاية عُليا ، وهى العبادة للّه تعالى ، والعبادة ليست استجلاب لعنصر غريب عن الإنسان ، وإنما له دافع التدين الذى يعتبر أقرب للاختيار منه للإلزام الذاتى [١] .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ، إِنَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ... ﴾ [٢] .

وإن الإيمان الحق هو الذى يُشبع هذا الدافع ، وهو الذى تتجه إليه مقاصد السلوك الإنسانى ، فيعلو بالصفات الإيجابية ، ويتخلص من الصفات السلبية وفق أُصول وقواعد وأحكام ثابتة .

وإن الإنسان له اختيار ذاتى فى رفع ذلك إلى اللّه تعالى ، ومجاهدة النفس فى ذلك ، ولكل مجاهدة ، ولكل أجر ، سواء فى إعلاء الصفات الإيجابية أو فى التخلص من الصفات السلبية ، والصفات الإيجابية التى يكتسبها الإنسان من البيئة نعمة تستحق الحمد فى إعلائها ، كما أن الصفات السلبية ابتلاء وامتحان تستوجب المجاهدة للتخلص منها .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣] .

ولذلك فإرادة الفضيلة وسط بين أطراف كإرادة العفة التى هى وسط بين الشره فى الشهوة وجمود الشهوة ، والحياء بين الوقاحة والخرق أى شدة الحياء [٤] .

وإن هذا الإيمان الموافق للفطرة الإنسانية يجد أرضاً خصبة عند الإنسان ، ليكون دافعاً أقرب للإلزام منه للاختيار وهو ما عَبَّر عنه الرسول ﷺ بحلاوة الإيمان .

---

(١) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٠

(٢) الكهف : ٢٩ (٣) الأنعام : ١٦٥

(٤) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٧

عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار » (١) .

وبهذا الإيمان تتحقق التعادلية والاتزان فى إشباع الدوافع الإنسانية لتتصف بصفات إيجابية ، تعمل على تقوية الإرادة فى عملية توجيه السلوك وترشيده ، عن طريق الرعاية والاستجابة للنفس اللَّوامة ، لتصل به إلى النفس المطمئنة بوعد الله تعالى ، فلا يجد صعوبة فى الاستجابة لها فيما يدعو إليه من الحق والخير .

قال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِى عِبَادِى * وَادْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (٣) .

وإن لكل إنسان تفاعله الخاص مع عناصر تكوينه ، ومع البيئة التى يعيش فيها ، والذى لا يشاركه فيه غيره كالتعلم والإرادة والعمل ... فمن كان عمله أصدق واختياره أفضل ، وعمله أصلح كان أكمل فى الإنسانية (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَداً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ (٥) .

وإذا كان الإنسان فى طبيعة خلقه يتصف بالضعف فى العلم والإرادة ... لعوامل كثيرة تؤثر عليهما - كما سبق - فإن للعقيدة الإسلامية أسلوب علاجها مما يعتريه من عيوب تخرق عملية الاتزان والتعادلية ، وهو التوبة الصادقة ،

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، جـ ١ ص ٩

(٢) القيامة : ١ - ٢ (٣) الفجر : ٢٧ - ٣٠

(٤) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

(٥) مريم : ٩٣ - ٩٦

والندم عليها ، والعزم على أن لا يعود إليها [1] ، فإن التوبة تسمو بالإرادة من الضعف إلى القوة .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

ولقد عصى آدم وزوجه بإرادتهما ، فتعكَّر صفوهما .

قال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [3] .

كما تابا إلى الله تعالى بإرادتهما .

قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [5] .

وإن ذلك من طبيعتهما التى أرادها الله تعالى للإنسان ، وهى مما يحتاج إليه فى تقدير الذات ، لما للانفعالات من قيمة عظيمة فى حياة الإنسان ، وإثرائها .

فإن للإنسان إرادة فى توجيه سلوكه فى عملية إشباع دوافعه الواعية لما منحه الله من دوافع روحية هى قبس من صفاته تعالى ، وهذه الإرادة المبنية على أسس من الحرية والاختيار ... ويترتب عليها المسؤولية فى الانضباط والانتظام فى إدارة السلوك وفق أصول وقواعد وأحكام تتناسب معه فى تفاعله الداخلى ، وتفاعله مع البيئة .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [6] .

---

(١) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣١٤ - ٣١٥

(٢) آل عمران : ١٣٥ (٣) طه : ١٢١ (٤) البقرة : ٣٧

(٥) الأعراف : ٢٣ (٦) الشمس : ٧ - ١٠

وإن التفاوت فى القدرات والاستعدادات (الجسمية والعقلية والنفسية) له أثر كبير فى عملية تصنيف الناس إلى قدرات مختلفة فى المجتمع والتى لها دور فى تحقيق التكامل فى عمارة الأرض [١] .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِياً ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [٣] .

وإن التفاوت بين الناس إنما هو تفاوت فى النعم ، الذى يترتب عليه تفاوت فى التكليف .

قال تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ [٤] .

وإن الإنسان عالَم صغير بجسده أمام هذا الكون الفسيح ، وله فيه إدراكاته ، وحركته ، واتصاله ، ولكن يضل فى باب التأمل والتفكير له جوانبه الواسعة الخفية والغامضة ، كما أن للعالَم الواسع جوانبه الخفية والغامضة [٥] .

ولقد منح الله تعالى الإنسان المواهب والقدرات للتأمل والتفكير فى العالَمين .

---

(١) أبو على أحمد بن مسكويه : الفوز الأصغر ، دار مكتبة الحياة ببيروت ص ١٠٥ - ١٠٧
أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٧
عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام ، المختار الإسلامى ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٣٩٧هـ ، ص١٢ - ١٤

(٢) الأنعام : ١٦٥ (٣) الزخرف : ٣٢ (٤) البقرة : ٢٨٦

(٥) أبو على أحمد بن مسكويه : الفوز الأصغر (مرجع سابق) ص ٩٢
د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

٢ - الأرض والكون :

إن الاطلاع على الدراسات الحديثة عن الكون ، مما تم إدراكه من بعض المجموعات والمجرات الكونية ، وما لها من سُنَن وقوانين ثابتة ودقيقة ، تجعل الإنسان يرى بعينيه الإبداع والقدرة على الخلق ، وأنه لا يزن جناح بعوضة بالقياس إلى هذا الكون فى جانبه المادى .

وإن لهذه القوانين والسُنَن أهمية كبيرة فى استمراره فى الوجود ، واستقراره وأمنه ، وفى حياته ومعيشته على الأرض بجميع قُواه ، وجميع جوانب ومسائل حياته الاجتماعية والاقتصادية ... (٣) .

وبذلك نُدرك شيئاً من التسخير الذى جعله الله تعالى للإنسان من قبل هذا الكون فى حياته .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) فصلت : ٥٣ (٢) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) آلن هاينك : آسرار الكون ، ترجمة د . سيد رمضان هدارة ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة خاصة ص ٢٩ - ٤٥

(٤) لقمان : ٢٠ (٥) الجاثية : ١٢ - ١٣

وإن هذا التسخير العام لقوانين وسُنَن الكون يصحبه تسخير خاص لقوانين وسُنَن الأرض وما تحتوى عليه من خيرات ومنافع ، له استثمارها بما منحه الله تعالى من مواهب وقُدرات موازية لها (١) .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٤) .

وإن هذا التناسق والتناسب والإبداع فى الخلق يوحى للإنسان بأنه لم يُخلق عبثاً .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾(٥) .

وإن الإنسان ليس غريباً عن الأرض ، لأنه خُلِقَ منها ، وهو أولى بالخلافة فيها لما لديه من خصائص التكوين ، ولا يستطيع أن ينقطع عنها ، لأن بعض عناصره تتكوَّن منها ، ففيها بقاؤه ، ولذلك يلزم اتصاله بها ، وهى المُسَخَّرة له لتناسبه .

---

(١) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥
صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان ، مطبوعات تهامة ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥٤
عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى الله (مرجع سابق) ص ٨٧

(٢) إبراهيم : ٣٢ - ٣٤ (٣) النحل : ١٤
(٤) سورة ص : ٣٦ (٥) المؤمنون : ١١٥

وإن هذه الأرض هى التى فهمتها الملائكة من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ (١) .

وإن الكواكب الأخرى لها أسماء فى الملإ الأعلى غير الأرض لما يدل عليه التعريف بـ « الـ » ، فهى المعهودة عند الملائكة ، ولا يمكن أن يكون للإنسان وجود حر منفصل عن هذه الأرض فى أى كوكب آخر .

وإن هذه الكواكب مُسَخَّرة للإنسان بما يستفيد منها على الأرض كالليل والنهار ، والحرارة ، والبرودة ، والزراعة ، والملاحة ...

فالكون مُسَخَّر لفعاليات الإنسان ونشاطه للقيام بمهمة الخلافة عن الله تعالى فى الأرض (٢) .

وإن المُلك للكون والأرض لله تعالى ، وهو ما لا يختلف فيه عاقلان ، وإن اختلفوا فى تسميته سبحانه (٣) .

قال تعالى : ﴿ للَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

أما المُلك بالنسبة للإنسان فإنه مُلك حيازة محدودة فى الزمان والمكان ، وهو حق انتفاع ورعاية يتضمن تحمل المسؤولية .

كما أن الله تعالى لم يخلق هذه القوانين والسُنَن والمنافع التى تُحيط بالإنسان لنفسه ، وإنما خلقها للإنسان (٥) .

---

(١) البقرة : ٣٠

(٢) د . حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٥

(٣) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦١

أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك ، ترجمة أحمد إدريس . دار القلم بالكويت ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ ، ص ٩ - ١١

(٤) المائدة : ١٢٠

(٥) د . ابراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ١١٦

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الغَنِىُّ الحَمِيدُ ﴾ (٣) .

وإن التسخير الذى يُحيط بالإنسان من كل جانب ، والقدرات والمواهب - الجسمية ، والنفسية ، والعقلية - الموازنة له تجعل الإنسان لديه القدرة على الكشف عن أسرار هذا الكون ومنافعه (٤) .

بل إن الطموح يدفع الإنسان إلى مزيد من التحسين والتفوق فى الاستثمار ، ودوره ينتهى بنقطة بداية الطموح الآخر ... وهكذا إلى أن لا ينتهى دور العمارة (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٦) .

وإن هذا التسخير وهذه المواهب والقدرات نعمة وتكريم من الله تعالى للإنسان ، ومقدمة للاستخلاف ، تُعينه على القيام بمهمة العبادة لله تعالى (٧)

---

(١) البقرة : ٢٩ (٢) الأعراف : ١٠ (٣) الحج : ٦٤

(٤) د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٣

(٥) الراغب الأصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٥٢

(٦) هود : ٦١

(٧) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٩

د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٣

ولذلك فإن العمارة المادية تكاد تكون إلزامية ، لارتباط النشاط الإنسانى فيها بالدوافع العضوية والدوافع النفسية القريبة منها ، والتى تعتبر إلزامية لحركة ونشاط الإنسان .

ولكن هذه العمارة ليست مقصودة لذاتها ، وإنما لهدف أسمى وأشرف وهو العبادة لله تعالى ، والتى توافق خصائص تكوين الإنسان وليست غريبة عنه[1] .

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً ، فَاذْكُرُواْ آلاءَ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ، كَذَلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِى الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[4] .

ولذلك فإن مقام الإنسان فى استثمار جميع خصائصه وما سُخِّرَ له عن اتزان وتعادلية ، وليس فى استثمار بعضها دون بعض سواء أكانت مادية أو روحية.

وإن اختراق هذه التعادلية والاتزان ينزل بالإنسان من مقامه العالى ، مما لا تتصف به الحيوانات فى النزول من مقامها ، ولذلك فإن الإنسان بذلك يهبط إلى مستوى أقل منها .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[5] .

---

(١) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

(٢) الأعراف : ٧٤ (٣) يونس : ١٣ - ١٤

(٤) الشعراء : ١٤٦ - ١٥٠ (٥) الأعراف : ١٧٩

ولقد أودع الله تعالى الإنسان خصائصه ، ومنحه التسخير للكون لاستثمارهما فى عمارة الأرض تكريماً له ، وعوناً له للقيام بمسؤولية العبادة لله تعالى وحده التى خُلِقَ من أجلها [١] .

ولذلك فإن الإنسان إما أن يقابل هذا التكريم بالحمد والشكر عن طريق الإيمان ، والقيام بالتكليف ، الذى يحقق له التعادلية والاتزان فى خصائصه .

وإما أن يقابل هذا التكريم بالكفر الذى يكون من عوامل كثيرة مؤثرة على الذات - كما سبق - وقد يصل إلى تأليه الإنسان لغروره بما مُنح من مواهب وقدرات وما سُخِّرَ له فى الكون [٢] .

ولذلك فإن الإنسان المؤمن المهتدى بمنهج الله تعالى أولى فى هذه العمارة ، لأنها تتفق مع جميع خصائصه ، ولأن جميع خصائصه تم استثمارها فى العمارة .

ولذلك فإن المنهج الإلهى له الهداية والقيادة والإنتاج والعمارة عن أمن وسعادة ، يمتدان فى حياة الإنسان فى الزمان والمكان لتحقيق الأمن والسعادة فى الدارين [٣] .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [٤] .

٣ - التكليف :

إن التكليف لا يمكن أن يكون إلا لمن يملك خصائص فى التكوين كالحرية والإرادة والاختيار ... والتى يترتب عليها تحمل المسؤولية .

---

(١) عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى الله (مرجع سابق) ص ٨٧

(٢) محمد متولى الشعراوى : كيف نفهم الإسلام . دار العودة ببيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣

(٣) د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٦

عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام (مرجع سابق) ص ١٨ - ١٩

(٤) الأنعام : ٨٢

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّه كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (١) .

لقد ورد لفظ الأمانة فى القرآن الكريم خمس مرات ، وَخصَّص فى كل آية بمعنى (٢) وهى :

(أ) الوديعة وما فى حكمها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ ، إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (٣) .

(ب) رعاية العهد والذمة :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ ﴾ (٤) .

(جـ) القيام بالتكليف الإلهى :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٥) .

وإن المعنيين الأولين يندرجان تحت هذا المعنى لأنهما قيام بمتطلباته ، فهما جزء من التكليف الإلهى .

وإن الله تعالى خلق الإنسان لغاية سامية ، وهى العبادة له سبحانه ولم تكن بالتسبيح والتقديس فقط ، لأن جميع المخلوقات تتصف بها (٦) .

---

(١) الأحزاب : ٧٢

(٢) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٥
عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣٢ - ٣٤

(٣) النساء : ٥٨ ، وانظر البقرة : ٢٨٣

(٤) المؤمنون : ٨ - ١٠ ، وانظر الأنفال : ٢٧ - ٢٨ (٥) الأحزاب : ٧٢

(٦) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٠٤ - ٤٠٧
سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١٥ ص ٢٢٣٠ - ٢٢٣١

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (٢) .

ولكن العبادة عند الإنسان تتسع وتتفق مع خصائصه الروحية والمادية التى لم تكن لغيره من المخلوقات كالعلم والحرية والإرادة ...

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٤) .

وإن العبادة هى محور التكليف الذى يتسع مع اتساع خصائص الإنسان ، وما سُخِّر له ، وليست العبادة عنصراً جديداً تزكو به النفس الإنسانية ، وإنما هى مبنية على أُسس من خصائصها كدافع التدين ، لأن إشباعه بالدين القيم يقيم التعادلية فى إيجاد الحصانات والضوابط لبقاء الفطرة السليمة ، وتزكيتها ، لتحافظ على صفاتها التى هى قبس من صفاته تعالى فى جانب الإيجابية (٥) .

---

(١) الذاريات : ٥٦ (٢) الإسراء : ٤٤

(٣) البقرة : ٣٠ - ٣٢ (٤) الأحزاب : ٧٢

(٥) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٠

البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم ، مكتبة وهبة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » (٢) .

ولذلك فإن الإنسان لديه المواهب والقدرات التى يقابلها تسخير فى الكون ، للقيام بمهمته كاملة ، ليكون مستثمراً لها أقصى ما يمكن أن تكون عليه عملية الاستثمار لعمارة الأرض .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٥) .

فإن التكليف الإلهى للإنسان يُشَكِّل منهجاً عملياً له فى عقيدته وأحكامه وأصوله وقواعده ، لأنه يتناسب مع خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له .

---

(١) الروم : ٣٠.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤.

(٣) الإسراء : ٧٠ (٤) هود : ٦١ (٥) إبراهيم : ٣٢ - ٣٤

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ طسَ ، تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدىً وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ آلم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

ولذلك فإن التكليف يُعين الإنسان على عمارة الأرض من قِبَله بمنهج علمى ، يخلق لديه التعادلية ، التى تستثمر جميع خصائصه بطريقة إيجابية ، فالتكليف فى سعته وشموله لم يترك مجالاً فى فعاليات النشاط الإنسانى إلا ونفذ إليه فى توجيهاته وإرشاداته (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٥) .

كما أن المنهج الإلهى يُجَنِّب الإنسان الآثار السلبية التى يقع فيها دونه فى إدراكاته ومعارفه ، وحركته ونشاطه ، على مستوى الفرد والمجتمع كاليأس والقنوط ، والبخل والجزع ، والحسد والأنانية ...

قال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٦) .

---

(١) الزمر : ٢٢ (٢) النمل : ١ - ٢ (٣) لقمان : ١ - ٥

(٤) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩ ،
محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٥) الأنعام : ٣٨ (٦) طه : ١٢٣ - ١٢٤

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَايْئَسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللّهِ ، إِنَّهُ لاَ يَايْئَسُ مِنْ رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (٤) .

فالتكليف يعمل على بناء الذات الإنسانية والمنهج الذى يتناسب معها للقيام بعمارة الأرض بأحسن ما يمكن أن تكون عليه العمارة لما يُوفره هذا التكليف من عوامل النجاح كالدوافع الذاتية للأفراد لرعايته وفق أُسس صحية وليست مرضية ، والتى تُوجِد لدى الإنسان الأمن والاستقرار ... لا القلق والحيرة والاضطراب (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٧) .

---

(١) يوسف : ٨٧ (٢) المعارج : ١٩ - ٢٦
(٣) آل عمران : ١٨٠ (٤) الكهف : ٣٤
(٥) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٣٥ ، ٢٨٧ - ٢٨٨
كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥
(٦) الرعد : ٢٨ (٧) الأنعام : ٨٢

وإذا كان النظر فى مخلوقات الله تعالى يفيد طمأنينة فى الجملة ، فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة ذكر الله تعالى ، وهذا وجه ما يفيده قصر الاطمئنان على الذكر [١] .

وإن الحرية للإنسان ذات مفهوم اجتماعى ، فلا بد من القواعد التى ترعاها بمبررات منها ، وإلا صارت ظلماً وجوراً ، فالحرية لكل إنسان فى المجتمع ، وإلا ذهبت الحرية والإنسان معاً .

ولذلك لا بد من السيطرة على النفس للمحافظة على حرية الجميع ، والحرية شُعَب ، ولكل حرية حدودها ، التى ينبغى أن يكون احترامها مبنياً على أساس من الدوافع الذاتية الصحية وأن لا تكون عن نزوات ورغبات وشهوات ..[٢] .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِى الأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ [٤] .

وكذلك يجب السيطرة على البيئة الاجتماعية لأن لها وحيها الخفى والجلى الذى يؤثر فى تشكيل الفرد من حيث لا يدرى كالخبرات الانفعالية والعادات والتقاليد ... الإيجابية والسلبية .

ولذلك فإن السيطرة على النفس والبيئة هى هدف أى رسالة جادة لامتلاك

---

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١

(٢) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، دار مكتبة العربى ، القاهرة ص ١٨١ - ١٨٢

د . أحمد حافظ نجم : حقوق الإنسان . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ٦٣ - ٦٩

(٣) النازعات : ٤٠ - ٤١ (٤) القصص : ٧٧

الحياة العامة لصيانة الفرد والمجتمع فى الحاضر والمستقبل ، فلا بد أن يقنن لهما قواعد العلاقة الخاصة والعلاقة العامة [١] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [٤] .

ولذلك فإن التكليف أمر ضرورى للمحافظة على الحرية والإنسان ، وهذا التكليف إما أن يكون تكليفاً إلهياً أو تكليفاً وضعياً .

(أ) التكليف الوضعى :

إن التكليف الوضعى ينبنى على عدة أُسس أهمها بإيجاز :

١ - الإدراكات والمعارف البَشرية التى لا يمكن أن تُحيط بجميع المسائل التى تُحيط بالإنسان ، كما لا تُحيط بتأثيراتها القريبة والبعيدة فى تعاملها مع فعاليات النشاط الإنسانى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [٥] .

---

(١) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥
د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى . دار المعارف بمصر ص١٨

(٢) النساء : ٥٩ (٣) آل عمران : ١١٠

(٤) النساء : ١١٤ (٥) الأحزاب : ٧٢

وقال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ * وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

٢ - إن كل مجتمع له خبراته الانفعالية كالحب والكُره ... وله عاداته وتقاليده الإيجابية والسلبية ، فالتعامل معها ينبنى على أساس من ذاتيات أفراد أو فئات أو طبقات (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِه وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(٥) .

٣ - إن هذا التكليف يعتمد على الرقابة الخارجية - السلطة - بنسبة كبيرة، فيقل الاحترام الذاتى له ، وقد يكون هناك صراع بين الأفراد والسلطة فى التقيد به ، أو الصراع بين الأفراد أنفسهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) المائدة : ٥٠

(٢) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١
عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٠٠

(٣) البقرة : ١٧٠ (٤) الفتح : ٢٦

(٥) الروم : ٣٠ - ٣٢ (٦) القصص : ٤

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (١) .

وإذا كان هناك أشياء لها حق الاحترام عند أفراد المجتمع كالخبرات الانفعالية والعادات ... المشتركة فإن فيها الإيجابى والسلبى .

ولذلك فإن هذا التكليف يعيش فى العالم المحسوس ، والممكن القريب ، والذى لا ثبات له ، والحياة ميدان رحب للخير والشر ، وخصائص الإنسان تستجيب لهما ، والبيئة لها تأثيرها القوى الظاهر والخفى فى تشكيل منهجه فى الحياة (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤) .

وإن الإنسان ليس لديه القدرة على تحديد وتشكيل مسائله المحيطة به وأبعادها ، فكيف يكون له القدرة على تقنينها ؟

وإن كل دين أو منهج فسدت به الحياة إنما هو جملة إدراكات بشرية ناقصة ، وأكاذيب ، ونزوات وشهوات ، أو دين منسوخ مُحرَّف تعدَّى حدوده القومية والزمنية .

---

(١) الأنعام : ٦٥

(٢) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٦

د . ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٢٠١

(٣) الشمس : ٧ - ١٠ (٤) الأعراف : ١٧٦

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيه مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْه ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُواْ الخَيْرَاتِ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيه تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى عن اليهود : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(ب) التكليف الإلٰهى :

إن التكليف الإلٰهى يُشكِّل منهجاً عملياً للإنسان ينبنى على أساس من خصائصه وما سُخِّر له فى الكون ، كما أن تأديته فيه الحمد والشكر للمنعم بتلك المواهب والقدرات والتسخير فى الكون ، بل إن التكليف نعمة تستحق الحمد لله تعالى ، لأنه الحل الوحيد لمشكلة الإنسان .

ولذلك فإن التكليف له أسباب النجاح ، ولعل أهمها بإيجاز :

١ - إنه تكليف إلٰهى له حرمته عند أفراد المجتمع فى عقيدته وأُصوله وأحكامه ، ويتفق مع خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له فى عمارة الأرض ، فيعمل على تنظيمه فى جانب الإيجابية ، لأن الله تعالى يعرف الحقيقة ، والهداية الصحيحة المسار (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) القصص : ٥٠ (٢) المائدة : ٤٨ (٣) البقرة : ٧٥

(٤) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ٢٤٩ - ٢٥٠

(٥) الأنفال : ٢

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) .

٢ - الرقابة الداخلية عند أفراد المجتمع فى الالتزام بالتكليف والإخلاص فى تأديته ، بل والعمل على الزيادة فيه من السُنَن والمستحبات مما يساعد على الانضباط الذاتى فى احترامه (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٤) .

وعن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .... قال : فأخبرنى عن الإحسان قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... » (٥) .

٣ - الرقابة الخارجية التى يتمتع أفرادها بالرقابة الداخلية تلك فى احترام التكليف الإلهى ، وأن لها الاحترام والطاعة من قِبَلِ الأفراد ، كما أن لهم حرمتهم وحقوقهم عليها .

---

(١) الملك : ١٢ - ١٤

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٣ - ٢١٧

الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ٢٦ ص ٢٤ - ٢٦

(٣) النور : ٥١ - ٥٢ (٤) فاطر : ٣٢

(٥) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، جـ ١ ص ٣٦

ولأهمية السلطة فى المجتمع أفردتها كمقوِّم أساسى من مقوِّمات تحقيق الخلافة .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أطيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١) .

٤ - إن العلاقة بين الأفراد والسلطة علاقة تعاون ، مما يعينها ويضمن لها النجاح فى القيام بمهامها ، فهم يشاركونها ويتوازعون معها السلطة برقابة داخلية تعنى الانضباط الذاتى ، ومساعدتها فى القضاء على التقصير فى المجتمع (٢) .

قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ باللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمْ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٤) .

وإن هذه المشاركة وتلك الرقابة الذاتية تخفف العبء على السلطة للقيام بمهامها فى التوجيه والتنمية لأنها تُقلِّل من تكاليف الإنتاج البشرية والمالية ، مما يجعل الدولة تستثمرهما فى قطاعات إنتاجية أخرى .

قال تعالى : ﴿ يَابَنِى آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) النساء : ٥٩

(٢) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٤٨ - ٥٢

(٣) آل عمران : ١١٠ (٤) النساء : ١١٤ (٥) الأعراف : ٣١

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ (١) .

وإن هذه البيئة الاجتماعية التى تعيش فى جو هذا التكليف ، لها خصائصها فى توحيد مشارب أفراد المجتمع ، لأن له مقوّماته العامة التى تتفق مع جميع خصائصهم ، ويعمل على تنظيمهم فى جانب الإيجابية كما يعمل على التوفيق بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية .

قال تعالى : ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

ولذلك فالتكليف الإلهى اختيار فى سبيل الطاعة والإيجابية فى الفعاليات الإنسانية ، فالحكم له وحده ، لا لغيره ، وهو موطن منافسة بين المؤمنين (٦) .

---

(١) الفرقان : ٦٧ (٢) المائدة : ٢ (٣) المائدة : ٥٤
(٤) الفتح : ٢٩ (٥) الحشر : ٩
(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٣٨٥٩ - ٣٨٦٠ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (١) .

وفى معية الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ، وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وفى ولاية الله سبحانه ..

قال تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)

ولذلك فالمؤمن مقياس الصلاح .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٥) .

وإن الأمانة هى التكليف الإلهى ، وليست الحرية والإرادة (٦) لأنهما من خصائص الإنسان التى خُلِقَ عليها ، وعلى أساسها عُرِضَت عليه وتحمَّلها ، فالتكليف يضبط حركة الإنسان ونشاطه فى الخلافة فى الأرض ، وهى كائنة له لا لغيره .

أما غيره ، فلم تكن له تلك الخصائص التى أهلته للخلافة ، وتحمل الأمانة ،

---

(١) المطففين : ٢٢ - ٢٦ (٢) التوبة : ٣٦ (٣) الجاثية : ١٩
(٤) التوبة : ١٠٥ (٥) غافر : ٣٥
(٦) د . حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٦

فالسماوات والأرض والجبال ... ليس لها خصائص العلم والحرية والإرادة ... وإنما لها سُنَن وقوانين ثابتة ، تؤدى وظيفتها وفقها ، ولذلك فالإنسان فى قمة المخلوقات [١] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [٢] .

وإن الإنسان كلما ازداد علمه أو استثماره لما سُخِّر له ، أو توسعت دائرة سلطاته ازداد تكليفه إلى أن يصل الأمر إلى العلماء والأغنياء وولى الأمر [٣].

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ ، فَسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

عن أبى الدرداء قال : ... سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « مَن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك اللّه به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالِم ليستغفر له مَن فى السموات ومَن فى الأرض ، والحيتان فى جوف الماء ، وإن فضل العالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وَرَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » [٦] .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٢ ص ٢٨٨٤ - ٢٨٨٥

(٢) الأحزاب : ٧٢

(٣) د . أحمد رمضان أحمد : الخلافة فى الحضارة الإسلامية ، دار البيان العربى بجدة ، ط ١، ١٤٠٣ هـ ، ص ٣٧

(٤) الأنعام : ١٦٥ (٥) الأنبياء : ٧

(٦) رواه ابن ماجه والترمذى وأحمد واللفظ لأبى داود فى كتاب العلم ، باب : فى فضل العلم ، جـ ١٥ ص ٣٢٧ - ٣٢٩

وقال تعالى : ﴿ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَأَنْفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته » ، قال : وحسبتُ أن قد قال : « والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (٢) .

وإذا كان هناك تفاوت فى المواهب والقدرات والرزق ، فإن التكليف يُسوِّى بين الناس فى القيام بالرسالة الملقاة على عاتقهم ، فالحرية والعدالة والمواطنة .... للجميع دون تفريق ، فليس فى المجتمع الإسلامى فوارق عنصرية .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

عن أبى نضرة – قال : حدثنى مَن سمع خطبة رسول الله ﷺ فى وسط أيام التشريق فقال : « يا أيها الناس ؛ ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى .... » (٤) .

وإن الإنسان لم يُخْلَق لنفسه ، ولم يُخْلَق ليكون عبداً لعنصر من عناصر المخلوقات ، ولا ليتمتع كالحيوان ، لأن هذه عوامل تحط من خصائصه كالحرية والإرادة والاختيار ... (٥) .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾(٦).

---

(١) الحديد : ٧

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، جـ ١ ص ٢١٥

(٣) الحجرات : ١٣ (٤) رواه أحمد جـ ٥ ص ٤١١

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٧

(٦) المؤمنون : ١١٥

ولذلك فإن العمارة المادية التى قد تعمرها الحضارة المادية تكاد تكون إلزامية، لأنها وسيلة لإشباع الدوافع الإلزامية والقريبة منها عند الإنسان ، والتى لها دور فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع سُنَن الإنتاج والتنمية ، فتكون داخلة تحت الإرادة الكونية فقط [١] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ ﴾ [٢] .

أما العمارة التى تتفق مع خصائص الإنسان المادية والروحية فهى ما تكون نتيجة للتفاعل بين تلك الدوافع والتكليف الإلهى لتلتقى الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية ، وبهما تستحق الخلافة .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ الر ، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ ، إِنَّنِى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [٤] .

ولقد راعى التكليف الإلهى مواطن الضعف فى تقنين مشاكله فكان له خصائصه التى تتلاءم معه .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[٥].

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُواْ فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ [٦] .

---

(١) د. محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٣٨

(٢) محمد : ١٢ (٣) الروم : ٣٠ (٤) هود : ١ - ٣

(٥) النساء : ٢٨ (٦) الحج : ٧٨

وإن الإنسان لم يُخْلَق ليكون ملكاً ، وإنما ذا طبيعة مزدوجة تتنازعه دوافعه فى منهجية الحياة ، ويعتريها الكثير من عوامل الضعف فى الالتزام بالتكليف [١] .

فالإنسان تحمَّل الأمانة - التكليف - لما يتمتع به من خصائص فى التكوين ، ولكنه جهل تبعياتها لحظة الأداء ، والتى تدير النشاط فالتحمل شىء ، والأداء شىء آخر [٢] .

وإن هذا الضعف من خصائص الإنسان التى أرادها الله تعالى ، لما له من أثر فى إثراء الحياة الإنسانية وجمالها كالانفعالات .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يُذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم » [٣] .

ولذلك فإن الضعف ليس مشلكة عند المؤمن ، لأن للتوبة باباً أوسع لحلها ، بالندم ، والعزم على التخلص منها ، والعمل الصالح الجاد المثمر فهو دائماً فى حيوية ونشاط ، وتفاعل مع الحياة [٤]

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٥]

وذلك أيضاً وفق خاصية من خصائص الإنسان ، وهى النفس اللَّوَّامة ، إذا تم تنميتها واستثمارها ، لأنها تعمل على معالجة ذلك بالسمو والإعلاء فى حركته ونشاطه[٦].

---

(١) أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٣ - ٨

(٢) محمد متولى الشعراوى : فى تربية الإنسان المسلم ، دار العودة ببيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٥٨

(٣) رواه مسلم فى كتاب التوبة ، حديث ١١ ، جـ ٤ ص ٢١٠٦

(٤) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٦٥ - ٢٦٨

(٥) آل عمران : ١٣٥

(٦) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معانى القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٠٨

قال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[1] .

وإذا كانت حركة ونشاط المؤمن فى عمارة الأرض بجانبيها المادى والروحى عبادة لله تعالى ، فهى تدعوه إلى مراقبة الله فى كل عمل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾ [2] .

كما أن العبادات المحضة تغذى فى نفس المؤمن تلك الشحنة كالصلاة .

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [3] .

فالله تعالى أراد أن تكون عبادته بما يحقق النفع لنا لا له سبحانه ، وما يساعدنا على حل مشاكلنا ، فهى واجبة لحلها ، ولذلك أوجبها علينا [4] .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [5] .

بل إن الله تعالى حث على المزيد منها كالنوافل .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددتُ عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » [6] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ يرويه عن ربه قال : « إذا تقرَّب العبد

---

(١) القيامة : ١ - ٢ (٢) سورة ق : ١٦ (٣) العنكبوت : ٤٥

(٤) عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) العنكبوت : : ٦

(٦) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب : التواضع ، جـ ٧ ص ١٩ .

إلىَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإذا تقرَّب منى ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإذا أتانى مشياً أتيته هرولة » [1] .

فالزهد هدف أخلاقى يسمو بحركتنا ونشاطنا .

عن عبد الله بن عمر ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : أى الناس أفضل ؟ قال: « كل مخموم القلب صدوق اللِّسان » . قالوا : صدوق اللِّسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقى النقى ، لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد » [2].

وهذا حديث إسناده صحيح [3] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ؛ كن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً تكن أشكر الناس ، وأحبَّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسِن جوار من جاوَرك تكن مسلماً ، وأقل الضحك ، فإن كثرة الضحك تُميت القلب » [4] .

وهذا حديث إسناده حسن [5] .

ومما سبق يتضح أن التكليف الإلهى هو الحل الوحيد لمشكلة الإنسان فى منهجه لعمارة الأرض ، وهو الذى يستطيع أن يتعامل مع الذات الإنسانية بجميع خصائصها ، لتحقيق السعادة فى الدارين .

ولذلك فهو غايته السامية للقيام برسالته فى عمارة الأرض بجانبيها المادى والروحى ، فتلتقى خلافة الإنسان فى الأرض مع التكليف الإلهى ، أى بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب : باب ذكر النبى ﷺ وروايته عن ربه ، جـ ٨ ص ٢١٢

(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد ، باب : الورع والتقوى ، جـ ٢ ص ١٤٠٩ - ١٤١٠

(٣) سنن ابن ماجه ، تحقيق د. مصطفى الأعظمى (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٢٩

(٤) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد : باب : الورع والتقوى ، جـ ٢ ص ١٤١٠

(٥) سنن ابن ماجه ، تحقيق د. مصطفى الأعظمى (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٢٩

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

ولهذا فإن التفريط فى التكليف الإلهى ، وفقدانه فى عمارة الأرض يعنى انتهاء خلافة الإنسان فى الأرض ، للارتباط بينهما فى استمرارية وجوده .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة » . قال : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال : « إذا أُسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (٣) .

٤ - الدولة :

لقد سبق الحديث عن أن كل إنسان خليفة لله تعالى ، وأنه مُكلف للقيام بمهمته وغايته .

وإن الدولة تُعتبر محور تجمع فعاليات النشاط الإنسانى ، فتدور حوله فى عملية تنظيمية ، ليكون لذلك النشاط فعالية أقوى وأنجع

ولذلك لا بد من الأُسس التى تقوم عليها الدولة لرعاية أهدافها ولعل أهمها :

(أ) الحاكمية لله تعالى :

لقد سبق القول بأن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بجميع المسائل التى تحيط به، وأبعادها ، لعوامل عقلية ونفسية .

ولذلك فإن الإنسان ليس لديه القدرة على تقنين منهج عملى يتناسب مع خصائصه .

---

(١) البقرة : ٣٠ (٢) الذاريات : ٥٦

(٣) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب : رفع الأمانة ، جـ ٧ ص ١٨٨

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

وإن الله تعالى رحمة منه بعباده أنزل إليهم التقنين ، الذى يتناسب مع جميع خصائصهم المادية والروحية ، ليغطى جميع جوانب الحياة الذاتية من جهة ، والتشريعية ، والقضائية والتنفيذية من جهة أخرى ، لتتكافل فى بناء الذات والمجتمع ، لأن التكليف الإلهى نفذ إليها جميعاً بعقيدته وأحكامه وأصوله (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣) .

فالتشريع الإلهى يشتمل على ما فى الشرائع السماوية الصحيحة وآراء وقوانين الحكماء الوضعية من محاسن ، وبُعده عما تنطوى عليه من عيوب ، للاختلاف بين علم الله تعالى ، وعلم الإنسان ، الذى يترتب عليها اختلاف فى التقنين (٤) .

ولذلك فإن التشريع أمر يخص الله تعالى ، وهو داخل فى مفهوم العبادة له سبحانه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ، أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) المائدة : ٥٠

(٢) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩
محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥
أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه ، دار الفكر ، ١٣٨٩ هـ ، ص ٤٦

(٣) الأنعام : ٣٨

(٤) محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام ، الشركة التونسية للتوزيع - الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٩ م ، ص ٢١٤

(٥) يونس : ٥٩

وقال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (١) .

وإن أى دولة فى الأرض إنما هى فى الحقيقة تتحمل خلافة عن اللّه تعالى فيها ، لعمارتها بقوانينه ، التى تلتقى مع خصائصهم وما سُخِّرَ لهم (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ (٣) .

وأما إذا حُكمت الدولة بقوانين وضعية ، وأعرضت عن حكم اللّه تعالى ، فهى كافرة بأنعم اللّه سبحانه الذى منح الإنسان خصائصه وسَخَّر له ما فى الأرض والكون ، وأنزل التكليف الذى يتناسب معه فى فعالياته ونشاطه (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ، فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ (٥) .

وكذلك إذا حُكمت بأحكام مختلطة بين التكليف الإلهى والقوانين الوضعية المعارضة للكتاب والسُّنَّة (٦) .

قال تعالى : ﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا

---

(١) النساء : ٦٥

(٢) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢٠

(٣) سورة ص : ٢٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٨

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص٣١٨٧ - ٣١٨٨

(٥) المائدة : ٤٤

(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٧ - ٨٩

جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ولذلك فإن الدولة فى كل من الحالتين ضالة ومُضلّة .

وإن الحاكمية للّه تعالى تعنى سيادة القانون على جميع أفراد المجتمع ، فلا تفريق بين قوى وضعيف ، أو حاكم ومحكوم .

عن عائشة رضى اللّه عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : مَنْ يُكَلِّم رسول اللّه ﷺ ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حبُّ رسول اللّه ﷺ ، فكلم رسول اللّه ﷺ ، فقال : « أتشفع فى حد من حدود اللّه » ؟ ، ثم قام فخطب فقال : « يا أيها الناس ؛ إنما ضل مَن قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم اللّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطع محمد يدها » (٢) .

كما تعنى الحاكمية للّه تعالى أن كل فرد خليفة له سبحانه ، أنه مكلف بأداء واجبات تتطلب تمكينه من أدائها (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ المُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٥) .

---

(١) البقرة : ٨٥

(٢) رواه البخارى فى كتاب الحدود ، باب : كراهية الشفاعة فى الحد إذا رُفِعَ إلى السلطان ، جـ ٨ ص ١٦

(٣) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ٢٩ .
أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٠ .

(٤) النور : ٥٥ (٥) الحج : ٤١

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

(ب) ذات حزب واحد :

إن الدولة الإسلامية ذات حزب واحد ، وهو حزب المؤمنين ، فليس للكافرين نصيب فيها ، وإنما يدخلون فيها بحكم التابعية التى ترعاها الدولة لجميع أفرادها كالمواطنة ، والحياة ، والعدل ، والحرية .... (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) آل عمران : ١١٠

(٢) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٤٧ - ٤٨
سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٣) النساء : ٥٩

(٤) المائدة : ٥٥ - ٥٦

(٥) آل عمران : ١١٨

(٦) النحل : ٩١

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مَن قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد على مسيرة أربعين عاماً » (١) .

ولذلك فإن لغير المسلمين عقيدتهم ومبادئهم ودينهم وأحكامهم فى الأحوال الشخصية - الزواج والطلاق - والقضاء فيما بينهم فيها (٢) .

قال تعالى : ﴿ ... فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

وأما المعاملات والجنايات فهم مُلْزَمون بأحكام الإسلام بصفتها القانونية ، لا الدينية (٤) .

فالمؤمنون حزب الله ، حزب الحق ، فليس بينهم حزب للموافقين أو حزب للمعارضين ... لأنهم جميعاً يرعون حاكمية الله ، كما يرعون حكم الحاكم فى الأمور الاجتهادية التى لا تخالف الشرع ، والذى يلتزم به الجميع عن طيب خاطر (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجزية والمعاهدة ، باب : إثم من قتل معاهداً بغير جرم ، جـ ٤ ص ٦٥

(٢) سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٤٨

ابن القيم : أحكام أهل الذمة ، تحقيق د . صبحى الصالح . دار العلم للملايين ببيروت ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ ، جـ ١ ص ٣٧ ، جـ ٢ ص ٧٨٩

(٣) المائدة : ٤٢ - ٤٣

(٤) سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٩٢ - ٩٣

(٥) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٦٠

بالمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُواْ للَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (٢) .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « مَن أطاعنى فقد أطاع اللّه ، ومَن يعصينى فقد عصى اللّه ، ومَن يُطع الأمير فقد أطاعنى ، ومَن يعص الأمير فقد عصانى » (٣) .

(جـ) بيعة ولى الأمر :

إن البيعة لولى الأمر من قِبَلِ الشعب التزام بينه وبينهم فى رعاية أحكام اللّه، ورعاية مصالحهم ، فتفويضه من قِبَلهم إنما ليكون مركزاً لهم فى إدارة وتنظيم شؤونهم ، وهم متضامنون معه فى رعاية جميع شؤون الدولة (٤) .

عن عبادة بن الصامت قال : « بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف فى اللّه لومة لائم » (٥) .

وعن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعت » (٦) .

وعن معقل بن يسار قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « ما من أمير يلى أمر المسلمين ، ثم لا يجهد لهم وينصح ، إلا لم يدخل معهم الجنة » (٧) .

---

(١) التوبة : ٧١ (٢) النساء : ١٤٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٣٢ ، جـ ٣ ص ١٤٦٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٣ ، ٥٧
إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١١

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : كيف يبايع الإمام الناس ، جـ ٨ ص ١٢٢

(٦) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : كيف يبايع الإمام الناس ، جـ ٨ ص ١٢٢

(٧) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٢٢ ، جـ ٣ ص ١٤٦ .

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية » (١) .

فالتفويض للوالى لا يعنى أن الخلافة تخصه ، لأن المؤمنين جميعاً خلفاء الله ، وليست لفرد أو طبقة أو فئة ... فلا تفريق ولا امتيازات ولا عصمة ولا قداسة... فليس من حق الوالى أن ينتزع حقهم فى الخلافة ، بل يجب أن يعمل على تمكينهم من القيام بها ، لأن الكل مُكلّف (٢) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

ولذلك يجب أن يكون اختيار الوالى من أتقى المؤمنين وأفضلهم وأكفئهم ، ليضمنوا رعاية هذا المنصب ، وأهميته فى تحريك دفة المجتمع (٥) .

عن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته : « إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم ... » إلى أن قال : « وأهل الجنة ثلاثة :

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٥٨ ، جـ ٣ ص ١٤٧٨

(٢) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ١٩٠

أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢١

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٠ - ٥١

(٣) الحج : ٤١ (٤) النور : ٥٥

(٥) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٧

ذو سلطان مُقْسِط متصدَّق موفَّق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قُربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ... » [١] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم اللّه يوم القيامة ، ولا يُزكيهم ، ولهم عذابٌ أليم : رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ، ورجل بايعَ إماماً لا يبايعه إلا لدنياه ، إن اعطاه ما يريده وَفىَّ له ، والإ لم يف له ، ورجل يبايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف باللّه لقد أُعطى بها كذا وكذا ، فصدَّقه ، فأخذها ولم يُعْطَ بها » [٢] .

وإن الولاية لا يُختار لها من يُرشِّح نفسه ، بل وأى منصب آخر.

عن أبى موسى قال : دخلتُ على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحد الرجلين : يارسول اللّه : أمِّرنا على بعض ما ولاك اللّه عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : « إنَّا واللّه لا نُولِّى على هذا العمل أحداً سأله ، ولا أحداً حرص عليه » [٣] .

ولذلك فإن ترشيح الإنسان نفسه إلى منصب الولاية قد يُعاقَب عليه ، فليس فى المجتمع الإسلامى دعاية انتخابية [٤] .

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لى رسول اللّه ﷺ : « ياعبد الرحمن : لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكِّلت إليها ، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنْتَ عليها ، وإذا حلفتَ على يمين فرأيتَ غيرها خيراً منها ، فَكفِّر يمينك وائتِ الذى هو خير » [٥] .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيها وأهلها ، حديث ٦٣ ، ص ٢١٩٧ - ٢١٩٨

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : مَن بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا ، جـ ٨ ص ١٢٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ١٤ ، جـ ٣ ص ١٤٥٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : من لم يسأل الإمارة أعانه اللّه ، جـ ٨ ص ١٠٦

وعن عرفجة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن أتاكم وأمركم جميع ، على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم أو يُفرِّق جماعتكم ، فاقتلوه » (١) .

وحيث إن الإنسان يجب أن يستغل كل قوته فى تحكيم كتاب الله بذاته ، أو عن طريق نصير له ، فإنه إذا طلب الولاية لضعف فى المجتمع ، وهو كفؤ لها لإقامة حكم الله ، فيجوز اختياره (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾ (٣) .

وإن للوالى إسناد المناصب فى الوزارات ، والمؤسسات ، وولاة الأقاليم ... إلى من تتوفر فيهم التقوى ، والكفاءات المناسبة لها .

عن أبى ذر قال : قلتُ : يارسول الله ؛ ألا تستعملنى ؟ قال : فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : « يا أبا ذر ؛ إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » (٤) .

كما يجب على الوالى محاسبة رجال الدولة فى احترام حرمة الوظيفة ، والقيام بالمهام التى أُلقيت على عاتقهم ، فهو رئيس للدولة ، ورئيس للحكومة .

ولذلك فإن التفويض من قِبَله للمناصب لا يُعفيه من المسئولية ، وإنما يجب مراعاة ومراقبة هذا التفويض ، والعمل به (٥) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٠ ، جـ ٣ ص ١٤٨٠

(٢) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٩

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٥٢

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٥٨ - ٥٩

(٣) الإسراء : ٨٠

(٤) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ١٦ ، جـ ٣ ص ١٤٥٧

(٥) محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الإجتماعى فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٢١٤ - ٢١٥ =

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١) .

وعن معقل بن يسار قال : سمعتُ النبى ﷺ يقول : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنفحه إلا لم يجد رائحة الجنة » (٢) .

ولذلك فإن للوالى الطاعة فى ظل الحاكمية لله تعالى ، التى ترعى العلاقة الخاصة ، والعلاقة العامة ، فترقى الأخلاق والمعاملات فى رعاية حقوق الدولة ، فله الطاعة فيما سَنَّه من أنظمة وقوانين لا تخالف الشرع فى أحكامه وأصوله (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٤) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » (٥) .

= د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ٧

(١) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ [النساء : ٥٩] ، جـ ٨ ص ١٠٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح ، جـ ٨ ص ١٠٧

(٣) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢١ ، ٣٥ - ٣٦

(٤) النساء : ٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ، جـ ٨ ص ١٠٥

وأما إذا خرج الوالى عن حاكمية الله تعالى فى سن القوانين والأوامر فلا طاعة له ، لأن كل إنسان خليفة لله تعالى ، وليس له حق فى أن ينتزع حقه فى القيام بما ألزم به .

عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة ، فيما أحب وكره ، إلا أن يُؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » (١) .

وإذا كان الوالى من أهل المعاصى فيجب عزله من أهل الشورى إذا أمكنهم ذلك دون أن يُجرُّوا المسلمين إلى فتنة ، وإلا فيجب على المؤمنين أن يُظهروا عدم رضاهم عنه ممن يملكه ، وتركه بشرط أن يكون من المقيمين للصلاة .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر ، فإنه مَن فارَق الجماعة شِبراً ، فمات فميتة جاهلية » (٢) .

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون أُمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برىء ، ومن أنكر سَلِم ، ولكن من رَضِيَ وتابع » ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما صَلُّوا » (٣) .

وعن عوف بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « خياركم أئمتكم الذين تُحبونهم ويُحبونكم ، ويُصلُّون عليكم وتُصلُّون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » . قيل : يا رسول الله ؛ أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم مِن ولاتكم شيئاً تكرهونه ، فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يداً من طاعة » (٤) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٣٨ ، جـ ٣ ص ١٤٦٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٥٥ ، جـ ٣ ص ١٤٧٧

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٢ ، جـ ٣ ص ١٤٨٠

(٤) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٥ ، جـ ٣ ص ١٤٨١

(د) الشورى :

إن المجتمع الإسلامى مجتمع متكافل ومتضامن فى ظل رعاية حاكمية الله تعالى فى الأرض ، فكل فرد فى موقعه خليفه لله فى تطبيق أحكامه ، وليس لأحد أن ينتزع منه هذا الحق ، ويأتى فى قمتها تعيين الوالى ، ومنهجه فى إدارة شؤون الدولة ، لأنهم متضامنون معه فى المسؤولية [١] .

وإن المشورة واجبة بين الحاكم والمحكوم ، لما تُحقِّقه - غالباً - من كبير القدر الممكن من الصواب ، وهذه ميزة قد لا تتوفر فى الرأى الانفرادى .

قال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٣] .

وليس معنى المشورة أن يلتزم ولى الأمر فى الأخذ برأى الأغلبية ، فله أن يخالفها باجتهاد لا يخالف الشرع ، إذا لم يكن عن هوى فى النفس ، وإنما عن تقوى ، وما يقره يكون ملزماً [٤] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

---

(١) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ٦

(٢) الشورى : ٣٦ - ٣٨ (٣) آل عمران : ١٥٩

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٨ - ٥٩

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٢٠ - ١٢١

سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٩١

وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١) .

ولذلك فإن نظام التصويت ليس مقياساً للصواب والخطأ ، وإنما المشورة للعلماء ، وأهل الاختصاص حسب كل موضوع يتم عرضه ومداولته ، لأن رأى العالِم فى مسألة وفى اختصاصه يرجح على رأى الأغلبية ممن ليس لهم علم فيها .

فيجب أن يكون التصويت مبنياً على أساس من المعرفة بموضوع التصويت ، وإلا فلا تصويت لا بالسلب ، ولا بالإيجاب .

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (٢) .

ولذلك فإن للعلماء والعارفين حرية النقد ، ممن يكون هدفهم إظهار الحق واتباعه ، والتعاون فى معرفته (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أو الخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ... وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (٥) .

---

(١) النساء : ٥٩ (٢) الإسراء : ٣٦

(٣) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٩٤

أحمد نجم حافظ : حقوق الإنسان بين القرآن والاعلان (مرجع سابق) ص ١٢٥ - ١٢٦

د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص١٢

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٥

(٤) النساء : ٨٣ (٥) المائدة : ٢

كما يجب أن تتوفّر الصراحة التامة بين أفراد المجتمع وولى الأمر ، والسماع والاحترام المتبادل بين جميع الفُرقاء .

وعن معقل بن يسار المزنى ... قال : إنى سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه اللّه رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرّم اللّه عليه الجنة » (١) .

ولذلك يجب على الإمام وأهل الشورى أن تكون بطانة ولى الأمر ممن يكون أهلاً لها .

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « ما بعث اللّه من نبى ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم مَن عصم اللّه تعالى » (٢) .

(هـ) الاجتهاد والاستنباط :

إن التشريع الإسلامى وضع الأحكام والقواعد والأصول الثابتة ، التى تتفق مع كل زمان ومكان .

ولذلك فإن الدولة يجب أن ترعى عملية الاجتهاد والاستنباط فى أحكام ما يستجد فى الحياة ، بحكم التغير الاجتماعى فى المعارف والإمكانيات ، مما يُحقّق الصالح العام للفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أو الخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٣) .

وعن عبد اللّه بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ « أن رسول اللّه ﷺ بعث

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٢١ ، جـ ٣ ص ١٤٦ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاحكام ، باب : بطانة الإمام وأهل مشورته ، جـ ٨ ص ١٢١

(٣) النساء : ٨٣

معاذاً إلى اليمن فقال : كيف تقضى ؟ فقال : أقضى بما فى كتاب الله . قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسُنّة رسول الله . قال : فإن لم يكن فى سُنّة رسول الله ﷺ ؟ قال : أجتهد رأيى . قال : الحمد لله الذى وَفّق رسول رسول الله ... » [1] .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : « أكثروا على عبد الله بن مسعود ذات يوم فقال عبد الله : إنه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضى ولسنا هنالك ، ثم إن الله عز وجل قدَّر علينا أن بلغنا ما ترون ، فمن عُرِض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما فى كتاب الله ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه ﷺ ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ، ولا قضى به الصالحون ، فليجتهد رأيه ، ولا يقول : إنى أخاف ، وإنى أخاف ، فإن الحلال بيِّن ، والحرام بَيِّن ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، فدع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك » [2] .

وإن دائرة المباح واسعة ، والاجتهاد مطلوب فيها ، لتحقيق المصالح والمنافع للدولة والفرد . كالتنظيم الإدارى للدولة ، فقد أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من تجارب الأمم الأخرى فكرة الديوان [3] .

ولذلك يجب أن يكون الاجتهاد ممن تتوفّر فيه التقوى والمعرفة والإدراك لقواعده [4] .

* * *

(١) رواه الترمذى فى كتاب الأحكام ، باب : ما جاء فى القاضى كيف يقضى ، جـ ٢ ص ٣٩٤ ، ورواه أحمد جـ ٥ ص ٢٤٢

(٢) رواه النسائى فى كتاب آداب القضاء ، باب : الحكم باتفاق أهل العلم - طبعة دار الكتب العلمية ببيروت - جـ ٨ ص ٢٣٠ .

(٣) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

(٤) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١٩ - ١٢٠ .

● أهداف الدولة :

يتضح مما سبق أن الدولة الإسلامية ترعى مجتمعاً له حياة الدنيا والآخرة ، حياة تستوجب السعادة والاستقرار والأمن ... ولكل فرد تعامله الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ... وأداء الواجبات أصل فى المجتمع ، مما يتطلب تمكينه من أدائها .

وإن الضعف فى رعاية ذلك فيه ضعف للدولة [١] .

قال تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [٢] .

ولذلك فإن الدولة مركز النشاط فى رعاية أهداف المجتمع ، فيجب أن تكون قوية فى الداخل والخارج ، وأن تعمل على صيانة نفسها والمجتمع من عوامل الضعف ، الذى لا يمكن تحقيقه إلا بإسناد مناصب الدولة إلى أهلها [٣] .

وبذلك تستطيع الدولة أن تنهض بمهامها ، لتحقيق أهداف المجتمع وتسيير أمور الخلافة المادية والروحية ، فيُناط بها المسؤوليات التالية :

(أ) إقامة الحاكمية لله تعالى :

فهى أساس المنهج العلمى للدولة فى قيادة أمور الخلافة لله تعالى فى الأرض فى جميع شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... وهذا يعنى سيادة القانون الإلهى كما سبق .

(ب) القوة الداخلية :

فالدولة تعمل على بناء التنظيمات والهياكل لإدارة شؤون المجتمع كالوزارات

---

(١) إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٥

(٢) الرعد : ١١

(٣) صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان (مرجع سابق) ص ١١١

والمؤسسات ... والتى تعمل على تحقيق المصالح والمنافع ، وتعمل على صيانة المكاسب .

ولتحقيق ذلك لا بد أن تعمل الدولة على بناء أفراد المجتمع على العقيدة الإسلامية ، التى تُشكِّل دافعاً قوياً لضبط السلوك الفردى فى المجتمع ، وفق المنهج الإلهى ، بل إن تأثير هذا الدافع يتعدى دائرته الفردية إلى دائرته الاجتماعية ، ليكون الفرد مصلحاً داخل المجتمع ، فيكون فى جانب الإيجابية نحو نفسه ومجتمعه .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ المُنْكَرِ ، وَللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

وبذلك تعمل الدولة والفرد على القضاء على أسباب الضعف فى المجتمع ، كما تعمل على منع وقوعه .

وإن وضع الدولة الأجهزة والمؤسسات التى تقوم بذلك لا يعفى الفرد من القيام بواجبه ، وإن كان يجب أن يكون عن طريقها إذا تعدى أسلوب الأمر والنهى اللِّسان ، أو خِيف أن يتعداه .

ولتسهيل ذلك يجب على الدولة أن تعمل على تحقيق المساواة الاجتماعية فى الحرية والمواطنة والتابعية وتكافؤ الفرص ... فليس فى المجتمع الإسلامى فوارق عنصرية ، أو فوارق لجاه أو نسب ، أو مال ...

---

(١) الحج : ٤١ (٢) آل عمران : ١١٠

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وإذا كان يجب على الدولة أن تُمكِّن كل فرد من القيام بواجبه ، فإن عليها أن تعمل على تسهيل استغلال الطاقات والإمكانيات الفردية والاجتماعية ، لتحقيق المصالح الخاصة والعامة ، لتشد أزر كل مجتهد ، ولكل أجر حسب إنتاجيته .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع ، وهو مسئول عن رعيته ... » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

كما ترعى الدولة حقوق الضعفاء والفقراء مما يجب لهم على المجتمع لتشد أزرهم ، ولتتجنب عواقبهم ، وما قد يتكوَّن لديهم من خبرات انفعالية سلبية تجاه المجتمع .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٤) .

ولذلك فإننا سنجد مجتمعاً يسوده العدل الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ...

فالمجتمع الإسلامى تربطه عقيدة واحدة ، ومنهج واحد ، ومشاعر إنسانية

---

(١) الحجرات ١٣

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاحكام : باب : قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ (النساء : ٥٩) جـ ٨ ص ١٠٤

(٣) الأنعام : ١٦٥ (٤) الحج : ٤١

نبيلة ، ليكونَ مجتمعاً متلاحماً ، ومتعاوناً على البر والتقوى والعمل الصالح ، فيتحقق الأمن والاستقرار والاطمئنان ...

وإن هذه الكينونة تُخفِّف على الدولة أعباء إدارة المجتمع ، كما تُقلِّل تكاليف الإدارة فيه البشرية والمالية ... لتستغلها فى قطاعات إنتاجية تعود بالصالح العام على الفرد والمجتمع .

(جـ) القوة الخارجية :

إن المجتمع الإسلامى مجتمع قوى بقوة إيمان أفراده ، فهم قاعدته الأساسية التى تعنى قوة فى أجهزته ووحداته للقيام بواجبها ، فقوة فى إنتاجياتها واقتصادياتها .

ومثل هذا المجتمع يجب أن يكون قوياً فى علاقاته الخارجية مع الدول الأُخرى ، فيفرض وجوده ، ويحمى دولته ، ويُعلن الجهاد بكل قوة وعلانية وإصرار لإعلاء كلمة اللّه تعالى .

قال تعالى : ﴿ لاَ يَتَّخذ الْمُؤْمنُونَ الكَافرينَ أَوْليَاءَ منْ دُون الْمُؤْمنينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلكَ فَلَيْسَ مَنَ اللّه فى شَىْءٍ إلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ منْهُمْ تُقَاةً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ، وَإلَى اللّه الْمَصيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخذُواْ الكَافرينَ أَوْليَاءَ منْ دُونِ الْمُؤْمنينَ ، أَتُريدُونَ أَنْ تَجْعَلُواْ للّه عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبينَاً ﴾ (٢) .

وإن الدعوة إلى الدين الإسلامى تبدأ بالحُسنى ، وأساليبها واسعة ومتيسرة ، وإن كثيراً من المجتمعات المعاصرة متيسرة لسماع هذه الدعوة ، وهى دعوة أقرب إلى العقول والقلوب من أى دعوة أُخرى .

---

(١) آل عمران : ٢٨ (٢) النساء : ١٤٤

ومما يدل على ذلك أن نسبة قبول الدعوة الإسلامية لدُعاتها وإمكانياتهم تفوق نسبة قبول المسيحية بالنسبة لدُعاتها وإمكانياتهم [١] .

وتلك مجموعة من العوامل التى يجب على المسلمين أن يستغلوها ويُخططوا لها بكل جدية وعزيمة .

قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لاَ انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٥] .

أما إذا تعرضت هذه الدعوة إلى الصد ، فإنه يجب على المسلمين إعلان الجهاد فى سبيل الله تعالى ، للقضاء على الحواجز ، وإعطاء الإنسان الحرية الحقيقية أمام هذه الدعوة فى قبولها أو الإعراض عنها مع دفعه الجزية للدولة الإسلامية ، التى يعيش فى ظل نعيمها دون أن يُطلب منه أى حقوق غير الجزية لها [٦] .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام ، دار الأندلس ، ط ٢، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) ص ٦٢ - ٦٣

(٢) النحل : ١٢٥ (٣) الأعراف : ١٩٩ - ٢٠٠

(٤) فصلت : ٣٤ (٥) البقرة : ٢٥٦

(٦) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٠٠ - ١٠١

سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : « اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا مَن كفر بالله ، واغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من ديارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله ، الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة شىء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم ، وكُفَّ عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله ، وقاتلهم ... » (٢) .

وإن على الدولة الإسلامية أن تصالح أعداءها إذا اقتضت المصلحة ذلك صلحاً متوازناً لا ركون فيه ، لأن الركون فيه إضعاف للدولة الإسلامية ، كما يجب أن تعاملهم بما ظهر منهم ، دون ما خفى ، ولو ظن بهم ظن السوء ، لأن اليقين لا يدفع به ، ولكن على المسلمين الحيطة بالقوة (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ *

---

(١) التوبة : ٢٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الجهاد ، حديث ٣ ، جـ ٣ ص ١٣٥٧

(٣) الراغب الأصفهانى : تفصيل الشهادتين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٤١
أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١٥

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ * وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

ومما سبق يتضح أن للدولة أهمية كبيرة فى قيادة المجتمع فى مسيرة متوازنة بين خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له فى الكون من جهة ، وبين هذا التفاعل الإنسانى والمنهج الإلهى من جهة أخرى ، وبمعنى آخر فإن الدولة تعمل على الالتقاء بين الإرادة الكونية لله تعالى والإرادة الشرعية فى مسيرة الإنسان .

وإن السلطان يمثل قمة أو مركز الدولة الإسلامية ، الذى يدور حوله جميع فعاليات المجتمع فـ « الإسلام والسلطان أخوان توأمان ، لا يصلح [2] واحد منهما إلا بصاحبه ، فالإسلام أس ، والسلطان حارث ، وما لا أس له يُهدم ، وما لا حارث له ضائع » [3] .

وفى الأثر : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن [4] » [5] .

* * *

● تحقيق الخلافة :

مما سبق تتضح مقوِّمات الخلافة للإنسان فى الأرض ، ودور كل مقوِّم فى

---

(١) الأنفال : ٥٥ - ٦٢

(٢) لعل المراد بـ « لا يصلح ... » هو : لا يقوم واحد منهما إلا بصاحبه

(٣) رواه الديلمى عن ابن عباس . انظر : علاء الدين على المتقى حسام الدين : كنز العمال (مرجع سابق) جـ ٦ ص ١٠

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ٣ ص ٥٩

(٥) وقال به الحسن وقتادة واختاره ابن جرير وابن كثير

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٥٢

تحقيقتها ، وإن الخلافة حقيقة ثابتة للإنسان لما يتمتع به من خصائص فى التكوين - العقلية ، والنفسية ، والجسدية - ولما سُخِّرَ له فى الكون بصفة عامة ، وفى الأرض بصفة خاصة .

وإن الإنسان ليس له اختيار فى إيجاد خصائصه ، أو ما سُخِّرَ له فى الكون وفق سُنَن وقوانين ثابتة ، والتى له مجاراتها أو التغيير فيها لزيادة استثمارها [١] .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ ﴾ [٣] .

ولا شك أن اللّه واحد ، وأنه تعالى أراد بـ « الخالقين » إشراك الإنسان بعمله الذى هو امتداد لخلق اللّه تعالى ، وهو خلق دون خلق .

وإن فى ذلك - أيضاً - تكريم للإنسان .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [٤] .

وإن للإنسان خصائصه الإلزامية كالدوافع العضوية ، وخصائصه القريبة منها كدوافع نفسية فطرية مثل حب التملك والخلود ... وهذه الخصائص لها دورها فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع سُنَن الإنتاج والتنمية [٥] .

---

(١) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٥

صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) هود : ٦١ (٣) الصافات : ١٢٥ (٤) الإسراء : ٧٠

(٥) د. محمد ظفر اللّه خان : الإسلام والانسان (مرجع سابق) ص ٣٨

الراغب الأصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٥٢

كما أن له خصائصه التى هى أقرب للاختيار منه للإلزام كدافع التدين والمعانى المجردة كالخير والشر .

ولذلك فإن ميزة الإنسان فى استثمار خصائصه فى فعالياته المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... عن تعادلية تنمى جميع خصائصه وتستثمرها عن أمن واطمئنان واستقرار ...

وحيث إن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، فهو يستجيب إلى هذه التعادلية ، كما يستجيب إلى خرقها .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

فالإنسان ليس لديه قدرة على تقييم ذاته وأبعادها ، كما أن ليس له إدراك مسائله المحيطه به وأبعادها .

ولذلك يحتاج الإنسان إلى منهج يدرك خصائصه وأبعادها ، ويدرك مسائله المحيطة به وأبعادها ، لتكتمل صورة التكريم له ، ولعمارة عالَمه الباطنى وعالَمه الظاهرى عن انسجام .

وهذا لا يمكن أن يكون إلا ممن أدرك ذلك ، وهو الذى خلقه فأحسن خَلْقه وخُلُقه .

قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن المنهج الإلهى هو الحل الوحيد لمشكلة الإنسان فى حياته على الأرض لهدايته ، كما أنه وسيلته للحياة السعيدة فى الآخرة ، ودونه يتحقق ما رأته الملائكة فى استخلاف الانسان فى الأرض .

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠ (٢) الملك : ١٣ - ١٤

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٣) .

والتكليف يحتاج إلى قاعدة صلبة ، وهى قاعدة الإيمان ، التى تعمر حياة الإنسان الباطنية قبل حياته الظاهرية ، وتبنى على أسس من خصائصه كدافع التدين ، ليكون الإيمان دافعا قوياً وصحياً يقوده نحو التعادلية فى خصائصه من جهة ، والإعلاء والسمو بها من جهة أُخرى .

كما أن الإيمان يحتاج إلى ما يحفظة ويوقظه باستمرار ، وإلى ما يُقوِّيه ، ولذلك لا بد من مقوِّمات تحافظ عليه وتُنميه .

وحيث إن الإنسان خُلِقَ لغاية سامية ، وهى العبادة للّه تعالى ، فإنه جل جلاله جعل عبادته مبنية على قاعدة الإيمان التى لها دورها فى الالتزام بالمنهج الإلَهى من جهة ، وفى فعاليات النشاط الإنسانى فى عمارة الأرض من جهة أُخرى .

كما أن اللّه تعالى جعل عبادته بمنهج فيه حل لمشكلة الإنسان وإعانته وهدايته فى نشاطه وحركته للقيام بمهمة الخلافة فى الأرض .

ولذلك تصطبغ الحياة الخاصة والحياة العامة بصبغة الإيمان والمنهج الإلَهى ليكون المجتمع الإسلامى مجتمعاً متكاملاً فى بناء الفرد والمجتمع (٤) .

---

(١) البقرة : ٣٠ (٢) البقرة : ٣٨ (٣) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٤) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

ولهذه البيئة الاجتماعية دورها الخفى والظاهر فى بناء الدوافع النفسية المكتسبة كالحب والكُره الإيجابيين ...

كما تجنبه الخبرات الانفعالية السلبية كالحقد والحسد ...

وإن فى ذلك إعانة للفرد لإصلاح نفسه بمجاهدته الذاتية ، كما أن له دوراً فى الإصلاح الاجتماعى .

فالإسلام يعتبر جميع فعاليات الإنسان الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... عبادة إذا كانت مبنية على أساس قاعدة الإيمان .

ولذلك فإن الاسلام دين لم يدع مجالاً فى حياة الإنسان إلا ونفذ إليه فى توجيهاته وإرشاداته (٢) .

فالمنهج الإسلامى أوجب على الإنسان العلم والعمل ، وأسبابهما ، ليتمكن من استثمار خصائصه فيما سُخِّرَ له ، للكشف عن أسرار الكون والاستفادة منها .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٣) .

كما أوجب على الإنسان التحصينات والضمانات لحماية مكاسبه عن طريق رسم التصورات العُليا له كأركان الإيمان .. والمنهج الذى يهتدى به ، حتى لا تُحطِّم يده اليسرى ما بنت يده اليُمنى .

---

(١) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩
محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٢) لقمان : ٢٠

ولذلك فالمؤمن فى فعالياته قريب من اللّه دون واسطة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) .

كما أن اللّه قريب من المؤمن .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

وليس فى الإسلام ما يُعيق تقدم أمته فى بناء الفرد والمجتمع أو أن تحظى بالمعرفة والثروة والقوة ... ولكن له مقوِّمات العزة فى كل ذلك (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٦) .

فالعبادة المحضة ليست وسيلة صحيحة لعمارة الأرض وامتلاكها كما أن الكفر ليس مانعاً (٧) .

ولذلك فالإسلا م ليس دين رهبنة .

---

(١) الأنفال : ٢ (٢) البقرة : ١٨٦ (٣) القصص : ٥٦

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٠

(٥) المنافقون : ٨ (٦) الأنبياء : ١٠٥

(٧) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ١٦٨

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

ومما سبق نلاحظ أن العمارة المادية التى تعمرها الحضارة المادية تكاد تكون إلزامية ، لأنها وسيلة لإشباع دوافع إلزامية - الدوافع العضوية - أو دوافع قريبة منها عند الإنسان ، والتى لها دورها فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع سُنَن الإنتاج والتنمية (٢) .

وإن الإنسان المادى لا يؤمن إلا بجانبه المادى ، الذى تدركه الحواس ، وإنه تفاعل كيميائى وكهربائى للجسد ، وجنس تطوَّر من أجناس حيوانية تطوراً تلقائياً محضاً ، وينتهى وجوده إلى الفناء الذى لا خلود بعده ، فهو حقير وضئيل بالمقاييس الزمنية والمكانية للكون وإن ذهب بعضهم إلى تأليه الإنسان لغروره بما يمتلكه من قدرات وإمكانيات ...

فهذا تقييم الماديين للإنسان والحياة ، وهذا ما ينبنى عليه منهجهم .

ولذلك يعيش المادى لذاته ، ومتاع حياته ، فهو يدور حول نفسه (٣) .

وحيث إن الإنسان يتصف بالوعى الذى يرقى به إلى معانى مجردة للمحسوسات ، كما أن له خصائصه الفطرية كدافع التدين وحب الخلود ... فإن نفسه لا تقبل ذلك التفسير للذات والحياة ، مما يجعله يُصاب بالأمراض النفسية كالقلق والحيرة والشك ...

---

(١) النحل : ١٤

(٢) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٥٩

د . حسن صعب : الإسلام والانسان (مرجع سابق) ص ٨٥

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٨٥ ، ٧٧ ، ٧٩

ولا شك أن لهذه النظرة خبراتها الانفعالية السلبية كالأنانية ، وحب الشهوات والأهواء ، وحب السيطرة ، والطمع المادى .. [١] .

هذا الجانب من التكوين النفسى عند الماديين ، أما الجانب الآخر فهو ما يتعلق بالبيئة الاجتماعية ، لأن الإنسان اجتماعى بطبعه ، وتفاعله الاجتماعى يفرض عليه مبادىء وقيم وعادات ... مشتركة ، كما أن لهذا المجتمع قوانينه الوضعية التى تحكمه وتُسيِّره .

ولا شك أن هذا التنظيم الاجتماعى متأثر بتلك النظرة الذاتية فى تقييم الذات والحياة ، والتى تُعتبر القاعدة الأولى فى تنظيم السلوك .

ولذلك فإن الرقابة الداخلية ضعيفة لرعاية المبادىء والقوانين ... لأنها لا يمكن أن تكون قوية بحيث تتغلب على تلك الدوافع الذاتية الأولية ، فالاحترام للتنظيم الاجتماعى نسبى بين الأفراد .

ولذلك ترعى تلك الأنظمة والقوانين رقابة خارجية بنسبة كبيرة ، فيكون لها آثار سلبية فى التكوين النفسى للأفراد كالكبت وحب الاعتداء والحقد والحسد ... [٢] .

وإن لهذه البيئة وحيها الخفى والظاهر فى التكوين النفسى ، ليكتسب الفرد دوافع نفسية إيجابية وسلبية على السواء ، مما يجعل المجتمع بقدر ما يبنى يهدم ، والعلاقات الاجتماعية مبنية على المصالح الذاتية أو التوفيقية غالباً ... [٣] .

ولذلك نشاهد أن هذه البيئة ترمى إلى حياة جاهلية كالطبقية والطائفية والوطنية والعنصرية والعنف ... [٤] .

---

(١) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١١ - ١٣
محمد متولى الشعراوى : فى تربية الإنسان المسلم (مرجع سابق) ص ٢٩
(٢) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥
(٣) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٤
(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٣ - ١٤ =

وإن الحضارة المادية حكمت على المسيحية التى تخطت حدودها القومية والزمانية بالفشل فى بناء حضارة إنسانية متكاملة .

ولذا حدَّدت دور الكنيسة فى حدودها المكانية ، فلا تتعداه إلى السيطرة على الحياة العامة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ...

وذلك يرجع إلى أسباب موضوعية أهمها بإيجاز :

(أ) إن المسيحية ذات محدودية فى القومية والزمنية ، فلم تكن ديانة عامة وإنما ديانة خاصة لبنى إسرائيل ، فليست ديانة صالحة بعد تعدى حدودها [١] .

وأول من جعلها ديانة عامة « بولس الرسول » حيث سمح للأمم الأخرى بالدخول فيها ، فانتقلت إلى الإسكندرية ثم إلى روما ... [٢] .

(ب) إن المسيحية لم تبن حضارة ، لأن همها إقامة الدين ومعالجة النزعة المادية عند اليهود ، حيث ركزت على الروحانية كالتسامح ، والتقشف ، والسعى للآخرة ...

فهى لبناء الحياة الباطنية لبنى إسرائيل [٣] .

(جـ) إن المسيحية لم تُقم دولة ، فلم يحكم عيسى عليه السلام ولم تقم لها دولة إلا حينما أخذ بها الرومانيون وفرضها قسطنطين [٤] دين لأول دولة مسيحية بالحديد والنار ...

= رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٤٠

رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٥

(٢) محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١١٢

(٣) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٢

(٤) قسطنطين الكبير : أول امبراطور رومانى مسيحى (٣١٢ - ٣٣٧ م)

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١

وهذه الدولة ليست مبنية على تشريعات مسيحية ، وإنما أخذت بالقوانين الرومانية ، لأن المسيحية لا تتضمن مثل ذلك [١] .

(د) إن المسيحية تعتمد على النظام الكهنوتى الذى يتولاه البابوات الذين يزعمون أنهم ممثلون للّه فى الأرض ، فلهم سيطرتهم الدينية فى التوجيه والإرشاد ، ولكنهم وسّعوا دائرة سلطاتهم لتشمل الحياة كلها الفكرية والعلمية . لينفذوا إلى جميع جوانب الحياة لفرض آرائهم ، بل إن دائرة سلطاتهم تعدّت الحياة الدنيا إلى الآخرة .

ولذلك فإنهم يُفسِّرون الأناجيل تفسيراً خاصاً بهم ، دون أن يكون للعقول الأخرى أدنى تفكير يتعارض معهم ، فحاربوا العلم والعلماء بل أعدموا المفكرين والعلماء ... [٢] .

(هـ) إن المسيحية احتوت بعد التحريف على مغالطات فكرية كبيرة ، لا تقبلها العقول الراجحة ، ولعل أهمها :

١ - إن غاية وجود الإنسان التكفير عن خطيئة آدم عليه السلام ، ليأكل بعرق جبينه كما يزعمون [٣] .

بالإضافة إلى أن المسيحية دين رهبنة ، لا يمكن أن يبنى حياة تعمر الأرض .

٢ - إن المسيح عليه السلام إلّه - كما يزعمون - ولم يتزوّج ، فهل يصلح أن يكون قدوة للبشر ؟ [٤] .

---

(١) محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٢

(٢) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٢ - ١٤٦

محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) د . عبد الغنى عبود : الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، ط ١، ١٩٨١ م ، ص ١٤١

(٤) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ١١٠

أبو عبيدة الخزرجى : بين الإسلام والمسيحية ، تحقيق د . محمد شامة ، مكتبة وهبة ، ص ٦١ - ٦٢ ، ١٧٨ - ١٨١

٣ - إن صلب المسيح عليه السلام - كما يزعمون - تكفير عن خطيئة آدم عليه السلام ، وهل يكون التكفير عن الخطيئة بصلب ابن الله - كما يزعمون - الوحيد ؟ [١] وما هى غاية الإنسان بعد التكفير ؟

وهل قيامة المسيح عليه السلام حدثت بعد غيبته حينما ظهر بعد صلبه ؟ وهل رُفِعَ إلى السماء ، ودخل فى جهنم لمحاسبة الأنبياء السابقين كما يزعمون ؟ [٢] .

٤ - ما تنطوى عليه المسيحية المحرَّفة من صفات وثنية .

٥ - إن المرأة جنس نجس أو شيطان - كما سبق - فهى سبب شقاء الإنسان، ونزوله إلى الأرض ، كما أن تفكيرها ليس عملية عقلية وإنما عملية غريزية [٣] .

وتلك بعض الأسباب التى جعلت الحضارة المادية تفصل نشاط الدولة فى قيادة المجتمع عن وصاية رجال الكنيسة ، بل أن تبعد الكنيسة عن الحياة العامة ، لأن ليس لديها منهج حياة تقبله العقول .

ولكن هل يجوز أن يحكم إنسان فى بلاد المسلمين على الدين الإسلامى بما حكم به الماديون على المسيحية ؟

وفيما سبق يكفى للرد على هذا التساؤل . وأنه قياس باطل ، يتصف صاحبه بالجهل على فرض حسن النية .

فالمسيحية ديانة مكملة للديانة اليهودية لمعالجة ما أصاب اليهود من نزعة مادية ، جعلتهم يتصفون بصفات سلبية كمبدأ القوة ، والأنانية والعنصرية ...

---

(١) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ، ص ١٥

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م) ص ٣٠٦ - ٣٠٩
موريس بوكاى : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة نخبة من الدعاة ، دار الكندى ، ط١ ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٩٧ - ٩٩

(٣) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٦ - ٨٠
باسمة كبال : تطور المرأة عبر التاريخ (مرجع سابق) ص ٦٣ - ٦٥
محمود الجوهرى : الأخت المسلمة (مرجع سابق) ص ٥٥ - ٥٦

وإن هذه النزعة دفعتهم إلى فكرة التجسيد لله تعالى ، والوثنية ووصف الله بالنقص ... تعالى الله عما يصفون ، رغم قولهم بالتوحيد [١] .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ... ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ... ﴾ [٣] .

وقال تعالى : : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [٤] .

وإن اليهود أول من ابتدع العنصرية ، وبنوا تعاملهم وعلاقاتهم مع غيرهم على أساس أنهم شعب الله المختار ، وهى باقية معهم حتى الآن ، وأن غيرهم يجب أن يكون مُسخَّرا لهم [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٦] .

وإن اليهودية تشارك المسيحية - كدينين مستقلين - فى اعتمادهما على النظام الكهنوتى فى العبادة ، فلا تجوز خارج المعبد ، كما لا تجوز دون وسيط ، وأنهما لم يتضمنا أسس دولة . وأن لهما حدودهما القومية والزمنية . وأن التوراة والإنجيل قد تعرضا للتحريف [٧] .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٣٧ ، ١٠٢

(٢) التوبة : ٣٠ (٣) المائدة : ٦٤ (٤) آل عمران : ١٨١

(٥) د . أحمد شلبى : مقارنة الأديان - اليهودية - مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٧م ، ص ١٦٩ - ١٧٠

(٦) آل عمران : ٧٥

(٧) محمد عبد القادر العمارى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ٩٢
أحمد عبد العزيز عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٣

ومما سبق يتضح أن كل دين فاسد يفسد الحياة سواء أكان ديناً محرَّفاً انتهى أجله ، أو ديناً وضعياً كالبوذية التى تدعو إلى خنق الشهوات ، والبعد عن الشر .

وإن للإنسان مطالبه المادية والروحية التى يجب أن يكون إشباعها عن تعادلية وإتزان .

ولذلك فإن للإنسان شهواته التى يجب الاستجابة لها ، وعدم فعل الشر لا مزية له ، ولكن المزية فى فعل الخير ، وحياة دنيا الواقع وفق خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له عن تعادلية وإتزان [1] .

* * *

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

د . أحمد شلبى : مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى - مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٦ م ، ص ١٦٢ - ١٦٦